« فــؤاد لطيف الحجازى »

صــفحة مجهولة من

الحركة الوطنية المصرية

بقلم : الدكتور
يواقيم رزق مرقص
المشرف بمركز
وثائق وتاريخ مصر المعاصر

عندما قام الزعيم مصطفى كامل ينفث الوطنية فى جســد الأمة المصرية بعد أن احتلتها انجلترا عام ١٨٨٢ ، كان وراءه نفر من الشباب ، آمنوا بحقوق مصر ، فدعموا موقفه ماديا ووطنيا ، مما كان سببا فى استمراره فى عمله الوطنى ، ومن هؤلاء الذين أزكوا معه شعلة الوطنية « فؤاد لطيف ، سليم الحجازى » .

ولقــد كان لفؤاد هذا دوره فى داخل مصر وفى خارجها ، مــع مصطفى كامل ، ومع خلفه محمد فريد ، بل ومع الخديو عباس حلمى الثانى نفسه ، ولذا سنتعرض له بهذه الدراسة منذ نشأته ، ثم أدواره مع كل من هؤلاء حتى نهايته فى يونيو عام ١٩٤١ .

نشــأته وحياته :

ولد فؤاد لطيف فى الرابع من شــهر مايو عام ١٨٧٥ فى أسرة انحدرت من حكام مملكة القباردييين بشمال القوقاز لأكثر من ألف عام [1]،

---

(١) عبد العزيز حافظ دنيا : رسائل تاريخية من مصطفى كامل القاهرة ١٩٦٩ ص ٦٥ .

من أب هو لطيف سليم [٢] ، الذى كان له جهده الوطنى الملحوظ فى مصر فى المطالبة بحقوق مصر والمصريين عن كل غبن كان يقع عليهم ، فكان ممن تزعموا حركة الضباط المفصولين فى فبراير عام ١٨٧٩ [٣] ، حيث تقدم مظاهرتهم التى شاركهم فيها أفراد الشعب وذهب الى نظارة المالية ، وتقابلوا مع نوبار باشا ، الذى أظهر تجاههم الغلظة والكبرياء ، فكان نصيبه هو والسير ريفرز ويلسون الانجليزى ورياض باشا وزير الداخلية ، الحبس فى احدى غرف النظارة ، ولم يخرجهم من كربهم هذا الا وصول الخديو اسماعيل ، الذى ناله شىء من الاهانة أيضـــا ، الا أنه امتص غضب الضباط الثائرين ، بوعده لهم بصرف مرتباتهم [٤] .

والى جانب الروح الوطنية التى كان يتمتع بها هذا الوالد وورثها ابنه المترجم ، كانت هناك مائدة أدبية وعلمية قدمها له أيضا ، اذ كان قصره بشارع سوق السلاح بالقلعة صالونا أدبيا وسياسيا ، أمه كثير من أصحاب الرأى وأرباب القلم ، ممن تأثروا بفكر جمال الدين الأفغانى

---

(٢) تخرج لطيف سليم فى المدرسة الحربية ، وكانت له ثقافته العلمية الواسعة بجانب ثقافته العسكرية ، وتولى التدريس فى المدرسة الحربية ، ثم عين مفتشا بنظارة المعارف ، ثم مديرا للفيوم فرئيسا فخريا للمحكمـــة المختلطة (عبد الرحمن الرافعى : مصـــطفى كامل زعيم الحركة الوطنية القاهرة ١٩٦٢ ص ٣٨٣) .

(٣) وترجع أسباب هذه الثورة الى اهمال النظارة دفع رواتب الضباط وفصل ٢٥٠٠ منهم وكانت ترهبهم عندما رأت فيهم العقبة التى تحول دون التدخل الأجنبى ، وطلبت منهم تسليم أســـلحتهم ، فتجمعوا ووجدوا فيها فرصتهم للتعبير عن هذا الغبن ، ويشير بعض الدارسين لهذه الواقعة الى أن الخديو استغل قبول الضـــباط له فى تحسين موقفه الداخلى للاطاحة بوزارة نوبار بحجة أن تصرفه كان مسئولا عن وقوع هذا الشغب (للمزيد يمكن الرجوع الى الرافعى : عصر اسماعيل ج ٢ ص ١٧٠ ، يونان لبيب : تاريخ الوزارات المصرية ، القاهرة ١٩٧٥ ص ٦٠ وما بعدها) .

(٤) عبد الرحمن الرافعى : عصر اسماعيل ج ٢ ص ١٧٠ .

وغيره ، أمثال أحمد الصوفانى وحسن عبد الرازق وصادق رمضان [٥] ، فضلا عن الشيخ على الليثى (١٨٢١ — ١٨٩٦) واسماعيل صبرى (١٨٥٤ — ١٩٢٣) ومحمود سالم واسماعيل الشيمى (المتوفى عام ١٩١٢) ، هؤلاء الذين كانت لهم مواقفهم ضد الاحتلال البريطانى [٦] .

وفى هذا الصالون أيضا التقى مصطفى كامل بهذا الوالد ، حيث نبتت فكرة انشاء الحزب الوطنى .

ولم تكن هذه البيئة الوطنية التى نشأ فيها فؤاد تبدأ من أبيه ، وانما كانت ممتدة من جده « سليم الحجازى » أحد قواد محمد على تحت امرة ابراهيم فى زحفه على تركيا [٧] .

•• ومن هنا كانت تغلب على هذه البيئة الصبغة العسكرية ، فأراد لطيف أن يسلك ابنه مسلكه فى سلك الجندية ، وكان دائما يبث فيه هذه الروح حتى أسماه (الولد الشجاع) ، ولكن كان فؤاد له اتجاهه الخاص ، فقد أنهى دراسته الابتدائية ، ودخل مدرسة الفرير حيث نال منها شهادة البكالوريا ، التى دخل بعدها مدرسة الحقوق الأميرية ، ومنها انتقل الى مدرسة الحقوق الفرنسية بباريس ، وحصل منها على اجازة الحقوق فى عام ١٨٩٦ [٨] .

وحدث فى عام ١٨٩٨ أن اصطحبه والده فى زيارة لتركيا ، حيث زار السلطان العثمانى ، وعرفه عليه ، وهنا يبدو أن صيت والده قد وصل

---

(٥) عبد العزيز حافظ دنيا : رسائل تاريخية ص ١٧ .

(6) Holt, P. M.: Political and social Change in Modern Egypt, London 1968, p. 311. The Egyptian Nationalist Party 1892-1919.

(٧) عبد الرحمن الرافعى : عصر محمد على ، القاهرة ١٩٥١ ص٢٧٧
ولمزيد من المعلومات عن سليم الحجازى يمكن الرجوع الى (عبد العزيز حافظ دنيا : سليم الحجازى القاهرة ١٩٦٣ .

(٨) الرافعى : مصطفى كامل ، ص ٣٤ .

الى مسامع الباب العالى ، الذى قبل زيارته فأنعم على الأب (لطيف) برتبة الباشوية كما أنعم على الابن (فؤاد) برتبة البكوية •

وبعد أن عادا تزوج فؤاد بك لطيف من كريمة محمد شكيب باشا ، أحد قواد الجيش المصرى آنذاك ، وممن تولوا قومندانية القلعة ، ومدير عام الدواوين (٩) •

ظهر نشاط فؤاد الحجازى السياسى منذ شبابه المبكر ، نتيجة هذه النشأة فضلا عن تزامنه مع نشاط مصطفى كامل وعلاقته به التى سيأتى الحديث عنها فيما بعد •

واستطرادا للحديث عن حياة هذا الرجل ، أنه عاش فى مصر حتى نهاية العقد الأول من هذا القرن ، ساهم فى الأحداث السياسية والوطنية ، وشهد مواقف الخديو من الوطنيين ، وارتمائه فى أحضان الاحتلال بعد أن لمس فيه القوة الأعظم ، فهاجر فؤاد الى تركيا ، ولمع نجمه هناك ، فلم يمض على وجوده فيها زمن طويل حتى عينه السلطان قنصلا للدولة العلية فى سلانيك فى نوفمبر عام ١٩١٢ •

وعندما سيرت تركيا حملتها على مصر فى عام ١٩١٥ كان فؤاد لطيف بك أحد ضباطها برتبة أميرالاى ، ولما فشل الغزو أصدر الصدر الأعظم (الأمير حليم) قرارا بتعيين فؤاد بك سفيرا لتركيا فى سويسرا ، وكم آثار تعيينه فى هذا المنصب من سخط بين الأتراك أنفسهم ، اذ كيف يحصل مصرى — من احدى ولايات الدولة العثمانية على هذا المنصب المرموق دون الأتراك أصحاب الشأن فى البلاد !! •

ولكن عندما ترامت الى سمع الصدر الأعظم هذه الأقوال ، اجتمع بأصحابها وبين لهم أنه انما عين فؤاد بك الحجازى لكفاءته « اننى لم

---

(٩) عبد العزيز حافظ دنيا : رسائل تاريخية ص ٦٥ .

أعين فؤاد بك فى هذا المنصب الا لكفاءته ، ومعرفته للغات كثيرة ، وهى لا غنى عنها لكل من يتولى المناصب الدبلوماسية ، ولو كنت رأيت فى أحدكم من يفوقه كفاءة ما ترددت فى تعيينه بدلا منه » (١٠) .

وبقدر ما لاحقته عأون الحاسدين عند تعيينه ، لاحقه لسان محمد فريد الذى كان فى ذلك الوقت هاربا فى سويسرا ، وظن أن الصدر الأعظم عينه ليكون عينا له عليهم يتجسس لحسابهم ، وكان الود قد عاد بين فريد وبين الخديو عباس الذى كان موجودا هناك آنئذ بعد أن خلع من العرش فى مصر عام ١٩١٥ (١١) .

وفى نفس العام (١٩١٥) أثناء الحرب العالمية الأولى فشلت انجلترا فى حربها فى الدردنيل ، فلجأت الى اخراج تركيا من الحرب تخفيفا من الضغط عليها ، ولجأت فى ذلك الى لطيف بك فى سويسرا ، ليكون واسطة لها عندها فى ذلك لقربه من قلب الصدر الأعظم ، ولكن فؤاد بك رفض هذا التوسط ، فعرضت عليه مبلغ ثلاثة ملايين جنيه (هدية) يأخذ منها ما يشاء لنفسه ، ويعطى للصدر الأعظم ما يراه ، ويوزع الباقى على زعماء البلاد الموالين لتركيا ، ولكنه رفض كل هذا ولما رأت منه انجلترا هذا اجابته بالحكم عليه بالاعدام ومصادرة أملاكه وأمواله فى مصر ، فلم يبال بكل هذا ، وظل يضيق الخناق على أتباعها فى الخارج ومنهم الخديو عباس .

ولما خسرت تركيا الحرب ، وبدأ الحديث عن الصلح ، لم تقبل انجلترا أن يكون فؤاد بك الحجازى مندوبا رسميا لتركيا فى هذا الشأن ، وضغطت عليها لاعفائه من منصبه ، مما اضطرت تركيا معه الى أن تنصحه بالاستقالة فوافق ، وقدم استقالته ، وسرعان ما قبلتها

---

(١٠) المصدر السابق ص ٦٦ .

(١١) مذكرات محمد فريد ك ٣ ص ١٠١ .

الحكومة التركية ، وأرسلت اليه الموافقة فى شكل خطاب شكر ، وأنعمت عليه بالنيشان المجيدى •

وبهذا ترك فؤاد منصبه فى أواخر عام ١٩١٨ ، ولكنه ظل يعيش فى سويسرا ، لأن الحكم عليه بالاعدام ومصادرة أمواله فى مصر كان لا يزال ساريا •

ولما تطورت الأمور والصراعات السياسية وصدر تصريح ٢٨ فبراير عام ١٩٢٢ وسمح للمصريين المبعدين فى الخارج بالعودة الى بلادهم ، سعى فؤاد بك ضمن من سعوا للعودة ، ولكن السلطات الفعلية فى البلاد رفضته فى أول الأمر ، لولا تدخل الملك فيصل ملك العراق وعدلى يكن باشا ، حتى صرح له بالعودة الى مصر ، وردت اليه أملاكه ، ولعل فى ذلك كانت ترضية للأصوات الوطنية فى ذلك الجو الملتهب •

بدأ فؤاد بعد ذلك يدخل فى زمرة الملك فؤاد الأول ، عندما بـدأ يستميل اليه أعداء عباس ، كما قدر فيه خبرته السابقة واطلاعه الواسع ، وثقافته والمامه باللغات الأجنبية ، فأمر بتعيينه مديرا فى وزارة الخارجية فى بداية عملها ، الا أنه عاد فاختلف معه عندما كان الملك يعين الوزراء المفوضين بشكل مخالف للدستور ، واستقال من منصبه •

ولما مات الملك فؤاد الأول ، أنعم مجلس الوصـاية على فؤاد بك الحجازى برتبة الباشوية •

وظل فؤاد باشا فى مصر الى أن غادرها فى منتصف عام ١٩٣٩ الى سويسرا للاستشفاء ، وقد قامت الحرب العالمية الثانية ومنعته من العودة الى مصر ، فمات فى سويسرا فى ٦ يونية عام ١٩٤١ ، ونقلت رفاته بعد ذلك الى مصر حيث دفن فى مقابر الأسرة فى جوار مسـجد الامام الشافعى بالقاهرة (١٢) •

---

(١٢) عبد العزيز حافظ دنيا : رسائل تاريخية صص ٦٨ ، ٦٩ •

تلك كانت حياة فؤاد لطيف الحجازى بشكل عام ، الا أنه فى خلالها كانت له أدوار سياسية ووطنية نعرفها فى علاقاته :

أولا : مصطفى كامل :

ثانيا : محمد فريد :

ثلاثا : مع الخديو عباس حلمى الثانى :

أولا : علاقته بمصطفى كامل :

بدأت علاقته بمصطفى كامل أثناء دراستهما للحقوق بمدرسة الحقوق الخديوية بالقاهرة ، فتآلفا لدرجة أن كان مصطفى كامل كثيرا ما يتردد عليه فى منزله ، وهناك تقابل مع والده « لطيف سليم الحجازى » الذى أحس فيه الوطنية فأنس اليه لدرجة ان كان يقول لابنه عنه : « انه الشعلة الوطنية المنتظرة » (١٣) .

وقد حدث يوما أثناء دراستهما (مصطفى وفؤاد) أن حدثت بينهما مشادة واحتد كل منهما على الآخر ، ولما وصل الأمر الى اسماع المسئولين فى مدرسة الحقوق صدر أمر المسئولين فيها بحرمانهما من الدراسة فيها لمدة أسبوع ، فكان لهذا القرار وقعه السىء على علاقتهما ، اذ رفض فؤاد العودة الى هذه المدرسة ، والتحق بمدرسة الحقوق الفرنسية التى كانت قد تأسست وقتذاك ، أما مصطفى فعاد الى المدرسة ، واستمر فى دراسته حتى انتهى من السنة الأولى فيها .

ظلت العلاقات منقطعة بينهما حتى عام ١٨٩٢ حين التقيا مصادفة فى الاسكندرية ، عندما سافر مصطفى اليها لمقابلة « بشارة بك تقلا » صاحب جريدة الأهرام ، وأشار فؤاد عليه بالالتحاق بمدرسة الحقوق الفرنسية التى يدرس فيها ، فوافقه مصطفى على ذلك حتى يكونا سويا

(١٣) الرافعى : مصطفى كامل ص ٣٨٣ .

من ناحية وليلم باللغة الفرنسية من ناحية أخرى ليفيد منها فى الدفاع عن قضية الوطن [١٤] ، وعادت صلتهما بعضهما ببعض .

وقد أفاد مصطفى كامل كثيرا من تردده على بيت فؤاد ، حيث اتصل بالأوساط الأدبية والسياسية من خلال الصالون الأدبى الذى كان ينعقد هناك ، حتى قدمه الشيخ على الليثى الى الخديو عباس حلمى الثانى فى مارس ١٨٩٢ [١٥] .

بل كان من أثر هذه الزيارات أيضا أن فكر لطيف سليم (الأب) فى تكوين حزب سياسى للدفاع عن القضية المصرية فى المحافل الأوربية بشكل عام وفى فرنسا بشكل خاص ، وفكر فعلا فى عام ١٨٩٣ فى تكوين هذا الحزب باسم (الحزب الوطنى) أو (حزب الاستقلال) وكان يضم نخبة من المستشارين والكتاب والصحفيين والأعيان وأعضاء مجلس الشورى ومصطفى كامل ، الا أن الخوف والضعف تسربا الى أعضائه فعجز عن الاستمرار فانفرط عقده ، ولكن بقيت فكرته مضغة فى ضمير مصطفى كامل وفكره .

وبهذا يمكن القول بأن علاقة فؤاد بمصطفى كامل كانت سببا فى تنمية فكرة الوطنية بشكل منظم لدى الزعيم مصطفى كامل .

كان بيت فؤاد الحجازى خير دافع لمصطفى كامل للجهر بدعواه الوطنية أمام المحافل الدولية فى الخارج ، ففيه أعد العدة للسفر ، ومنه استمد العون الأدبى والمالى ، وفيه اتفق مع فؤاد على الجهاد سويا كل فى موقعه ، فعندما سافر مصطفى كامل الى أوروبا لأول مرة فى عام ١٨٩٥ اتفق معه على المراسلة ، ولعلمهما بنوايا الاستعمار

---

(١٤) المرجع نفسه ص ٣٤ ، أحمد رشاد : مصطفى كامل ، القاهرة ص ٣٨ .

(١٥) أحمد رشاد : المصدر السابق ص ٣٨ .

ومراقبته لتحركاتهما اتفقا على الكتابة بشكل شفرة ترك مفتاحها لديه قبل سفره (١٦) ، وبلغ من ايمان فؤاد الحجازى بجهد مصطفى كامل أن نشر فى جريدة المؤيد « ••• بارح القطـر المصرى فى أول مايو الماضى قاصدا أوربا نائيا عن أهله وأحبابه مضحيا بنفسه فى سـبيل خدمة وطنه ، فان كان صغر السن كل ما يؤخذ عليه ، فليس ذنبه ، وان لم يكن من الطبقة الأولى فى مصـائب الأمـة فانما نهضته تشرفـه ويخلف العار على غيره » (١٧) •

وهو فى هذا يدافع عنه ضـد ما كانت تكتبه الصحافة المواليـة للاستعمار من أنه « غض وغ يرناجح ، وأنه فى مستوى اجتماعى دون أن يقف مدافعا عن مصر » (١٨) •

وكان مصطفى كامل شديد القلق بفؤاد الحجازى وأبيه مما تعكسـه مراسلاته التى كان يبعث بها من الخارج اليه •

فأول ما تعكسـه هذه المراسلات : مـدى الود بينهما عندما كان مصطفى كامل يسـتهلها (بفؤاد) مجـردة ، أو (فؤادى العزيز) أو (عزيزى وفؤادى الكريم) الى غير ذلك •

ثانيا : أن علاقة كل منهما بالآخر تعدت حدود الزمالة والصداقة الى التزاور العائلى ، فيقول مصطفى كامل فى احدى رسائله (••• اذا زرت المنزل فبلغ العائلة عاطر تحياتى وطمنهم على فانى باحسن حال ••) (١٩) وأنه كان يطلب أشياء خاصة من والد فؤاد بكثير من الود ، بل والحاح

---

(١٦) عبد العزيز حافظ دنيا : رسائل تاريخية ص٢٠ ، شوقى الجمل : مراسلات مصطفى كامل القاهرة ١٩٨٢ ص ٧٩ •

(١٧) المؤيد فى ٣١ يوليو ١٨٩٥ •

(١٨) عبد العزيز حافظ دنيا : رسائل تاريخية ص ٢٠ •

(١٩) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ٧٤ •

فى بعض الأحيان ، كالحاحه فى أكثر من خطاب فى طلب « شـــاهيتين جميلتين » ، كما كان يرسل اليه هدايا لتقديمها الى الصحفيين والساسة فى فرنسا ليتمكن من نشر ما يكتبه فى صحفهم دعاية للقضية المصرية (٣٠)

ثالثا : أن الاتفاق بينهما ضم اخبار كل منهما الآخر بما كان يدور فى الأوساط السياسية والصحفية حول مصر وقضيتها ، فكان فؤاد يرسل اليه ما كان يكتب عنه فى الصحف المعادية والمتعاونة ليكون على علم بما يدور فى الساحة فى مصر ، أما مصطفى كامل فكان يرسل اليه ما كان يعزم عليه ما كان يعزم عليه من ردود أو زيارات أو رحلات (٢١) ، فقد أرسل اليه اربعين صورة من اللوحة التى صممها وطبعها ووزعها عـــلى مجلس النواب الفرنسى ليوزعها على الوطنيين فى مصر ويدرس احساس الرأى العام بالنسبة لها (٢٢) .

وكانت علاقته بمصطفى كامل مفيدة للحركة الوطنية التى تزعمها ، اذ كان أبوه (لطيف باشا سليم الحجازى) بجانب ايمانه بموقفه الوطنى أحد الذين أسهموا بمالهم فى تمويل مشروعات مصطفى كامل الوطنية من تنقلات ونشرات ومطبوعات واقامة فى خارج البلاد ، وكان يطلب المزيد كلما حكمته الظروف .

وهذه مراسلات مصطفى كامل لخير دليل على ذلك ، (بلغ والدك باسم الوطن المقدس ، وليس باسم الصداقة ، ألتمس منه هو وحـــده أن يرسل لى مبلغ ١٥٠ جنيها هذا الشهر لهذه السنة كلها ، ولن أطلب منه شيئا بعد ذلك ، وفى السنة المقبلة سوف أدبر أمرى ، فوالدك يدفع ١٥٠ جنيها والهلباوى ١٥٠ جنيها ، ومحمود سالم ١٠٠ جنيه ، ٤٠٠ جنيها من هؤلاء الوطنيين الثلاثة ستكون قيمة كبيرة عندى أكبر من نقـــود

---

(٢٠) المرجع نفسه صص ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٩ .

(٢١) المرجع نفسه ص ٧٦ .

(٢٢) المرجع نفسه ص ٧٠ .

العباس — منتظر منك جواب مستعجل اما بنعم مع المبلغ واما لا » (٣٣).

وكم وقف الاحتلال فى وجه هذه الجولة الوطنية فحاول كرومر الضغط على الخديو فتردد كثيرا فى ارسال العون المالى اليه ، وهو ما أشار اليه فى هذا الخطاب ، ورردده فى خطابات أخرى ، ولكن فؤاد سليم هو الذى كان ظهيرا له فى هذه التجربة (٣٤) ، « ... اننى فى ضيق شديد لأن الخديوى لم يرسل لى من المال ما يكفيننى للسفر الى مصر ، اذ أن مقدار ما بعثه لى يكفى فقط لأسدد به نفقات الفندق ... ولقد قررت ألا أعود الى مصر الا اذا يئست من معاونة الوطنيين ، وأنى الآن يائس من واحد وهو الخديوى ، ولكن أليس فى استطاعة والدك والهلباوى ومحمود سالم أن يرسلوا لى سنويا ٤٠٠ جنيها ما داموا يعتبرون أنفسهم وطنيين ويقدرون جهودى الوطنية » (٣٥) .

ومن هذا يظهر مدى مساندة أسرة الحجازى للعمل الوطنى ممثلا فى شخص مصطفى كامل ، ولذلك كانت صدمته بموته شديدة لدرجة أن أورثته الفراش مريضا فى غربته ، ووصف شعوره فى خطابه الى مدام جولييت آدم فى ٧ يناير ١٩٠٨ فقال : « انى مريض جدا منذ السابع عشر من شهر نوفمبر ، وقد بذلت مجهودا فوق الطاقة لالقاء خطبتى فى الجمعية العمومية للحزب الوطنى ... أما صحتى فهى بين اليأس والرجاء والسبب فى انتكاسى بعد خطبتى راجع الى مفاجأة المنون صديقا لى حميما كان من أشد وأكبر نصرائى وهو المرحوم لطيف سليم باشا » (٣٦) ، ثم نعاه مصطفى كامل بقوله « أخانا رحمه الله ... فكان

---

(٣٣) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ٨٩ .

(٣٤) عبد المنعم الجميعى : الخديو عباس حلمى الثانى والحزب الوطنى ، القاهرة ١٩٨٢ ص ١٣١ .

(٣٥) شوقى الجمل : المرجع السابق خطاب رقم ١١ ص ٩٥ .

(٣٦) المرجع نفسه خطاب رقم ١٠٧ مجموعة جولييت آدم ص ٢٦٥ - وكانت وفاته فى ٢٨ ديسمبر ١٩٠٧ .

أخا رؤوفا وصديقا حميما ، ومواطنا محبا لبلاده حبا لا قدرة لكاتب أن يصفه » (٢٧) .

دور فؤاد لطيف فى الحزب الوطنى :

شهد فؤاد سليم مولد فكرة انشاء حزب سياسى ينتظم العناصر الوطنية فى مصر ، لمناوأة الاحتلال ، وكان ذلك أيام والده لطيف سليم — كما سبق — وشهد فشل الفكرة نتيجة ضعف بعض العناصر التى كانت قد التأمت حولها ، الا أن تمسك مصطفى كامل بمبدئه ، ومواصلة المسيرة وظهور من عاضدوه مالا وفكرا ، وجعله يؤمن باستمرار المسيرة واستمرار فكرة تكوين حــزب وطنى يكون مصطفى كامل واجهته والوطنيون من ورائه صفا لا يأتيه الاحتلال من بين يديه ولا من خلفه .

من أجل هذا كان فؤاد لطيف ضمن الجماعة التى وضعت يدها فى يد الخديو عباس حلمى الثانى فى خريف عام ١٩٠٦ متناسية ما كــان بينها وبينه بسبب مساعدته للشيخ على يوسف فى قضية زواجه ، فنجد محمد فريد ومصطفى كامل والدكتور صــادق رمضــان ولطيف سليم وفؤاد لطيف يجمعون فى عزبة الخديو بمســطرد ليلا بشكل سرى ، واتفقوا على تأسيس الحزب الوطنى وصحفه الأجنبية ، لتندار اجبسيان والاجبشيان ستناندرد (٢٨) .

الا أن نشاط فؤاد لطيف لم يظهر فى مجال الحزب الا بعد أن أعلن عنه فى ٢٧ ديسمبر ١٩٠٧ بعد خطبة مصطفى كامل الشهيرة ، والتى أعلن فيها مبادىء الحزب الوطنى ، ودعا المصريين للاشتراك فيه ، فهو الذى تلا لائحة الحزب مادة مادة ، ورتب المناقشات حولها بين الحاضرين،

---

(٢٧) الرافعى : مصطفى كامل ص ٣٨٤ .

(٢٨) مذكرات محمد فريد ك ١ صص ١ ، ٢ أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن جـ ٢ القاهرة ١٩٣٦ ص ١٠٣ .

وتلقى التصديق العام عليها ، وأعلن الموافقة الاجماعية عليها ، وقــام الحزب بعدها برئاســة مصطفى كامل ، وشــكلت لجنته التنفيذية من مصطفى كامل رئيسا ومحمد فريد وكيلا ، أما فؤاد لطيف فكان سكرتير الحزب وعمر سلطان أميناً للصندوق (٢٩) .

فكان ذا رأى وقلم ، اشترك فى قيادة الحياة الحزبية من داخــل بناء الحزب الوطنى ، كما كان أحد محررى صحيفة (اللواء) (٣٠) ، وتناول فى مقالاته حقوق الشعب ، بعكس ما كان يتوقع منه كرجل تربى تربية أرستقراطية (٣١) . كما كان على خلاف مع مصطفى كامل نفسه — فى مجال الصحافة — حول عدم الخوض فى أخطاء عرابى ، وأن يحقق رأى عبد الله النديم فى هذا ، وأن يكون حذرا فى اعتماده على الرأى العام المصرى ، والا يتكل على الجيش المصرى فى أى دور من أدوار نضاله (٣٢) .

كما اشترك فؤاد لطيف فى لجنة تعديل قانون الحزب الوطنى ، عندما اقترح محمد فريد (الرئيس الجديد بعد وفاة مصطفى كامل) فى ديسمبر ١٩٠٨ تنقيح قانون الحزب ، وأعد مشروعا لذلك ، واقترح المؤتمر العام للحزب بعد قبوله هذه المقترحات لجنة لذلك من عشرين عضــوا منهم عشرة من أعضــاء اللجنة الادارية للحزب ، وعشرة من أعضــاء المؤتمر ، وضمت اللجنة الادارية حســن حارس باشا وعلى فهمى بك ، وعبد الحميد عمار بك واسماعيل لبيب بك وأحمد لطفى بك وفؤاد لطيف ومحمود بك رستم ومحمود بك فهمى حسين (٣٣) .

---

(٢٩) جولد شميث (الابن) : الحزب الوطنى المصرى : ترجمه فؤاد دواره ، القاهرة ١٩٨٢ ص ١٣٢ ، الرافعى : مصطفى كامل ، ص ٢٦٦ .

(٣٠) الرافعى : مصطفى كامل ، ص ١٤٦ .

(٣١) اللواء ١٥ أبريل ١٩٠٨ (خطاب مفتوح الى عطوفة ناظر الداخلية)

(32) Holt : Op. Cit., p. 312.

(٣٣) الرافعى : محمد فريد رمز التضحية القاهرة ١٩٥١ ص ٩٢ .

تلك كانت علاقة فؤاد لطيف بالحزب الوطنى ودوره فيه ، أما علاقته بمصطفى كامل فقد ظلت راسخة حتى قضى مصطفى ورثاه فؤاد بقصيدة جاء فيها :

أأرثيك أم أرثى الحقيقة والجدى
وأبكيك أم أبكى الفضيلة والهدى (٣٤)

علاقة فؤاد لطيف بمحمد فريد :

بدأت علاقة فؤاد لطيف بمحمد فريد بشكل طبيعى ، فقد استطاع أن يعبر أحداث استخلاف فريد فى رئاسة الحزب دون تدخل ، ولم تشر المراجع الى مواقف اتخذها قبله ، بل تشير الى أنه كان من المخلصين لفريد ضد السلطة ، وهو أمر شهد به فريد نفسه فى مذكراته ، فبعد أن ألقى خطابه السنوى فى ٢٢ مارس ١٩١٢ استدعته النيابة العامة لاستجوابه وأحس بنية السلطة فى القبض عليه ، طرح الموضوع على أقرب الأقربين فى اللجنة الخصوصية بالحزب الوطنى ، والتى كان فريد قد شكلها للمداولة فى مسائل الحزب الهامة جدا قبل عرضها على اللجنة الادارية للحزب •

وكانت هذه اللجنة تضم : صادق رمضان وفؤاد لطيف الحجازى ومحمود فهمى واسماعيل لبيب واسماعيل حافظ ، فكان أن اقترح عليه فؤاد لطيف أن يغادر البلاد فورا وسرا ، ودبر له أمر اخفائه وسفره ، وأتم له السفر فعلا فى اليوم التالى ، حتى أن زوجته لم تعلم به الا بعد أن أصبح فى عرض البحر •

ولما وصلته رسالة من النيابة العامة فى اليوم التالى ليمثل أمام وكيلها يوم ٢٥ مارس عام ١٩١٢ أعيدت بأنه غير موجود ، وبهذا نجحت الخطة ونجا محمد فريد من القبض عليه (٣٥) •

---

(٣٤) عبد العزيز حافظ دنيا : رسائل تاريخية ص ٦٥ .
(٣٥) مذكرات محمد فريد ك ١ ص ١٤ .

ومثالا آخر نسوقه على حسن التعاون والثقة بين محمد فريد وفؤاد لطيف وهو لجوؤه اليه ليمنع تدخل مدام روتشبرون كوسيطة لاصلاح ذات البين بين فريد والخديو فى عام ١٩١٢ ، وأرسل فريد اسماعيل حافظ اليه ليوقف سفرها بعد أن علم بأنها ستبدأ رحلتها الى مصر من أجل هذا الغرض ، وكانت العلاقة فى تلك الفترة سيئة للغاية بين الخديو وبين مجلس ادارة الحزب الوطنى فى القاهرة (٣٦) .

الا أن العلاقة بدأت تتغير الى العكس بعد ذلك ، حيث حلت الكراهية والحذر محل الحب والثقة .

فبدأ فريد يتهمه بالتنكر لمصريته ، وترجيح كفة الدولة العثمانية على كفة بلاده ، وذلك عندما غادر جمال باشا البلاد فى ديسمبر ١٩١٢ الى تركيا واصطحب معه كلا من فؤاد لطيف وأحمد فؤاد والشيخ جاويش ، ووصفهم فريد بأنهم « ممن قادهم شدة حبهم للدولة والاسلام الى نسيان مصر ومصالحها ، فأصبحوا يقولون أن مصر للمسلمين لا للمصريين ، أخذهم معه لترويج هذه الفكرة فى مصر » (٣٧) .

وعزز قوله هذا بسابقة طلب الشيخ جاويش منه عدم ارتداء الدبوس المدون عليه مصر للمصريين بحجة أنه يثير الأتراك (٣٨) .

وهكذا ثار الشجار باحتدام بينهما فى الخارج (فى تركيا) ، فى الوقت الذى كان فيه الحزب الوطنى فى مصر منقسما على نفسه أيضا ، اذ أن اللجنة الادارية للحزب انقسمت الى فريقين (المعتدلين) الذين رأوا أن فى مجاملة القصر وتخفيف التوتر بينه وبين الحزب استمرار لعملهم . حتى ولو ضحوا فى ذلك بزعيمهم نفسه ، وكانت هذه الفئة هى الأكثر ثراء أمثال : عبد الحميد عمار وعبد اللطيف الصوفانى وحافظ

---

(٣٦) المرجع نفسه ص ٦٢ .
(٣٧) المرجع نفسه ك ٤ ص ١٠٦ .
(٣٨) المرجع نفسه والصفحة .

رمضان وعلى علوبة ومحمد أحمد الشريف وعلى المنزلاوى ، و (المتطرفين) الذين ظلوا على موقفهم ومبادئهم منذ مصطفى كامل وكانوا يزورون كل متعاون مع الاحتلال ، وكان من هذه المجموعة : اسماعيل حافظ (شقيق زوجــة محمد فريد) وعبــد الملك حمزة وعبد الله الرافعى ومصــطفى الشــوربجى ، أما على فهمى كامل فكان بين بين ، بل كــان يميل الى المعتدلين (٣٩) .

وبهذا وجد الخديوى منفذا داخل لجان الحزب ذاتها .

وفى هذا الجو المفعم بالانقسام بين زعامات الحزب الوطنى نشر على المنزلاوى فى صحيفة (الأهالى) طعنا فى ذمة محمد فريد (٤٠) ، مما أصاب لجان الحزب بهزة قوية دفعها الى طلب أطراف النزاع فى غيبة محمد فريد — حيث كان فى سويسرا — الى جلسة حددتها اللجنة الادارية للحزب لبحث الموضوع وردع المعتدين وأخذهم بالشدة على أعمالهم ، الا أن جانب المنزلاوى لم يصدع للأمر ولم يحضر هذه الجلسة فقرر الحاضرون استبعادهم من الحزب واعتبارهم منشقين رسميا عليه ، وشطبت أسماؤهم من قوائمه ، ونشروا هذه الاجراء فى الصحف .

ولما كان محمد فريد قد أرسل استقالته من رئاسة الحزب ، فأرسل اليه المجتمعون فى هذه اللجنة أيضاً الدكتور أحمد طاهر لسحب استقالته ووعدته بتأييد كفاحه وخططه ضد الخديو عباس بعد أن أبعدوا أعوانه من الحزب ومن لجانه .

انتهت المعركة بهزيمة الخديوى وفريقه ، الا أن طبيعته أبت عليه

---

(٣٩) جولد شميث : المرجع السابق ص ٢٤٥ .

(٤٠) كــان للمنزلاوى موقفه من فريد نتيجة اتهامه له بتحقيق أرباح طائلة من جريدة العلم ، وكان قد تقدم بطلب للجنة الادارية للحزب حــول هذا الموضوع ، ولما لم يتخذ بشأنه أى اجراء استقال منها فى اكتوبر ١٩١٢ (جولد شميت المرجع نفسه ص ٢٤٥) .

قبول هـذا الخذلان ، فبعث من سويسرا — حيث كان يقيم — علـى الشمسى ومحمد فهمى الى القاهرة لمقابلة سكرتير الحزب ولجانه لابلاغهم اصراره على الاستقالة للله الرئاسة ، وأن يطلبوا منهم كذلك ترشـيح من يروه لرئاسة الحـزب الوطنى ، الا أن أعضاء الحزب أمام هـذه الصدمه غير المتوقعه فى توقيت حرج جعلوا يتعللون — كسبا للوقت — بأنه يجب على فريد أن يرسل رغبته كتابة ومسببة وليس بهذا الطريق الشفهى .

ويبدو أن كلا من على الشمسى ومحمد فهمى قد أحسا بتحرج الموقف ازاء اصرار فريد وتعلل سكرتارية الحزب ، أو أنهم أحسوا فى مباحثاتهم مع أعضاء الحزب فى مصر بفتور العلاقات بينهم وبين زعيمهم البعيد ، فنجدهما بدآ يبحثان فعلا عن زعيم جديد للحزب الوطنى ملحين فى ذلك .

الا أن فؤاد لطيف رفض ذلك فرجعا الى مصر فى جولة مشاورات أخرى ، وعادا الى فؤاد مرة أخرى وأخبراه بأن الخديو يلح فى رجائه قبول الرئاسة ، فثارت ثائرته لدرجة أنه انتهرهما قائلا : « اننى لا أقبل رئاسة أى حزب خصوصا بعد أن بلغ من المهانة والسقوط لدرجة تجعله آلة فى يد الخديو وأمثاله من الدساسين » (٤١) .

ومن هذا تتضح شخصية فؤاد سليم المستقلة الواضحة ، وتفهمه لموقف الحزب والمزايدين به ، وأنه — أى فؤاد — لم يرد بأسلوب فريد الذى اتهمه به — كما أوردنا — وانما كان رده موجها بالدرجة الأولى للخديو الذى ركب الموجة وانتهز الفرصة ليدس أنفه فى ادارة الحزب والتسلط عليه ، ثم الى العابثين بمقدرات حزب قام أساسا على الوطنية التى رعاها مصطفى كامل ، ولكن فريدا لم ينس له هذا الموقف ، فقد

---

(٤١) محمد أنيس : صفحات مجهولة من التاريخ المصرى ، القـاهرة ١٩٧٣ صص ١٨ ، ١٩ .

أصبح ندا له يرشـــح لرئاسة الحزب ثم يرفض واصـــفا الحزب بهذه الأوصـــاف .

ثم جاءت مرحلة انفجر فيها الحذر الذى شاب العلاقة بين محمد فريد وفؤاد الى احساس محمد فريد بأن فؤاد أصبح جاسوسا عليه من قبل السلطان العثمانى بل وعلى كل المصريين فى أوربا الذين لهم يد فى العمل السياسى الوطنى المصرى . بل واعتبر أن الدولة العثمانية قـــد اختارته بالذات لهذه المهمة نظرا لأنه كان من العاملين فى الحزب الوطنى الذى أقض مضجع أعداء البلاد وأحرج الدولة العثمانية ذاتها . وأنه كان من القسم الذى أصر على مبادئه الأصيلة فى غبر انحياز لقوى الخديو أو الدولة العثمانية فكان ممن سموا (بالمتطرفين) .

وأن الدولة العثمانية — فى نظر فريد — قـــد كافأته على هـــذا التجسس بتعيينه سفيرا لها فى برن ، حيث تجمع القوى الوطنية المصرية، وللعجب أنه ظن هذه الظنون فى فترة الائتلاف بينه وبين الخديو عباس بعد ابعاد الأخير عن العرش ، ووجوده معه فى أوروبا ، واعترافه بأنه أصبح من « أعوانه » (٤٢) .

بل واعتبر فريد أيضا أن تعيين فؤاد لطيف فى هذا المنصب فى تلك الفترة بالذات شرطا من الصدر الأعظم نصبه ليس فقط ليقع فيه لطيف بل وكان لآخرين أيضا ، فقد وصف الشيخ جاويش بأنه كان ومن تبعوه من طلاب الوظائف « والذين زاد طمعهم فى نوالها بعد تعيين فؤاد بك سليم سفيرا للدولة فى برن بسويسرا ليكون مراقبا ومعاكسا لنا ولأعمالنا فى هذه البلاد الحرة (٤٣) .

يأتى تصوير فريد لفؤاد لطيف بهذا الشكل ، وكأن الخلاف بينهما

---

(٤٢) مذكرات محمد فريد ك ٧ ص ١٨٠ .

(٤٣) نفس المصدر .

كان كبيرا لدرجة « المعاكسة » والمضايقة والتجسس ، فى حين أنه فى حديث لأحد المسئولين متضررا من المراقبة التى فرضت عليه من الدولة تارة بشكل رسمى وتارة أخرى من (المتطوعين للتجسس) ، ويفهمه هذا المسئول أبسط من هذا وأن من يظنهم جواسيسا عليه لا يقصدونه « الا لأنهم يجدون لديه قبولا حسنا » .

أما ما نسبه الى فؤاد لطيف من التجسس عليه لمصلحة الدولة فهو أمر لا يعدو أن يكون أحد واجباته كسفير للدولة ، عليه أن يخبرها بمن لهم موقف منها ، وأنه لم يقدم « فعلا » عنه سوى تقريرا واحدا ملخصه (انى حضرت الى جنيف فى ديسمبر وعقدت مؤتمر الطلبة وتحصلت منهم على القرار القائل بأنى الممثل الوحيد لمصر) [٤٤] .

ورغم هذا الحديث الذى كان المفروض أن يشيع فى نفسه الاطمئنان لفؤاد لطيف الا أنه بعد قليل يعود الى تأكيد هذا التجسس ويصف جنيف بأنها مفعمة بالجواسيس أتراك ومصريين تحت زعامة الدكتور بهجت وهو أخ عماد الدين بك وكيل الصدر الأعظم وعبد الملك حمزة ، « وابتدأ هذا واخوانه فى مقاطعتى علنا ، وكذلك قنصل تركيا لأنه قابلنى فى اليوم التالى لمجيىء بالبنك فسلم على من بعيد برفع البرنيطة وهذا على الأقل بأمر فؤاد ، وأصبحت دار هذا القنصل مجتمع عبد الملك حمزة واخوانه المنشقين علينا لتدبير طرق التجسس علينا » [٤٥] .

وتظهر من ذلك أن علاقته السيئة بفؤاد هى التى نسجت له هـذا الوهم الذى يظهر فى تعبيره (وهذا على الأقل بأمر فؤاد) .

وقد بلغ الأمر بفريد أنه أصبح يطعن فى فؤاد لطيف علنا وبشكل رسمى فيذكر هو نفسه فى مذكراته أنه فى حديث رسمى مع الدكتور رجب

---

(٤٤) مذكرات محمد فريد ك ٧ ص ١٩٥ .

(٤٥) نفس المصدر ص ١٩٩ .

تركى المغربى والذى كان يعمل موظفا فى نفس السفارة فى برن — محل عمل فؤاد — ردا على سؤاله المباشر عن مدى العلاقة بينهما فأجاب بقوله « لا أنا كنت صديق لشخص اسمه فؤاد سليم بك ، مصرى ٠٠ أن هذا الشاب توفى فى مصر من نحو خمس سنوات ودفن بها ، أما فؤاد سفير الدولة فلا أعرفه ولا أريد أن يكون لى معه علاقة » ولما تعجب السائل من قوله هذا عاد وسأله ، كيف ذلك وأنتما أصدقاء ، انى احترمك واحترم فؤاد ولا أرضى بمثل هذا التقاطع ج — لا تقاطع ولا شىء ، فؤاد صاحبنا مات ثم بعث بشكل جديد فأنكرناه وهذا يحصل كثيرا فى السياسة (٤٦) ٠

ففى تحديده لفترة الخمس سنوات يشير الى سنة ١٩١٢ ، حيث كان حديثه هذا فى عام ١٩١٧ ، وأن عام ١٩١٢ هو العام الذى كانت العلاقة بينهما فيه طيبة وكان ظهيرا له ضد السلطة فى مصر أيام محاكماته ، ودبر له أمر الفرار من وجهها ، ثم بدأت مرحلة الكراهية لسفر كل منهما الى أوربا ، وبداية علاقة فؤاد بالدولة العثمانية ، وهى أيضا بداية الوساوس والظنون التى سيطرت على فريد ٠

استمر الخلاف محتدما بينهما الى نهاية حياة فريد ، والملاحظ أن فريد هو الذى كان يتابعه بالنقد فى كلامه وتصريحاته وتصرفاته ، من هذا نقده لتصريح له كسفير للدولة العلية لصحيفة برلنيرتا جبلاط حول وضع قناة السويس تحت رقابة دولية اذا ما وافقت انجلترا على ذلك وفسر فريد (بأنه جعل قناة السويس فى صف جبل طارق أى أنه اعتبر قنال السويس الذى يمر فى أرض مصر كأنه قطعة من أملاك انجلترا)»(٤٧)٠

وقد بلغ من تأثر فريد وانفعاله أن ذهب لمقابلة فؤاد لطيف فى السفارة فى برن ، الا أنه لم يجده وترك احتجاجه لدى أدهم بك

---

(٤٦) نفس المصدر ص ٢٠١ ٠
(٤٧) مذكرات فريد ك ٩ ص ٢٤٤ ٠

مستشار السفارة آنئذ بعد أن أطلعه على الصحيفة ، فعلل الموقف بأنه خطأ التبس على المحرر .

ووصل الأمر بفريد الى مقابلة وزير الخارجية التركى ، وعرض عليه الأمر وأطلعه على الصحيفة ، وهنا أجاب الوزير باستنكار متسائلاً عن علاقته بفؤاد لطيف فاعترف فريد أنه من رجال الحزب الوطنى وأنه ينتقده لهذا السبب ، وأن مثل هذا التصريح لا يؤثر على مجرى الأحداث [٤٨] .

وهكذا تظهر متابعة فريد له وليس العكس ، ثم أن مواقف فؤاد كانت تشكل كيدا وقلقا لفريد ، فهو بعد سنوات من اعتباره غير موجود يعود فيعترف به عضوا فى الحزب وأن انتقاده له كان على هذا الأساس.

ثم يظهر أخيرا سبب آخر (نفسى) ففريد ظل يعتبر نفسه زعيما له ثقله عند الجميع مهما كانت مراكزهم ، وتصور أن كل تجمع ينادى باســم مصر لابد أن يخرج من داخل عباءته ، ونسى أن المجتمع فى الخارج يختلف عنه فى مصر ، بل أن فى مصر نفسها تغير المجتمع خلال فترة غربته فى أوربا التى امتدت سنين عددا ، فعلى ســبيل المثال ، حاول أتباع فريد وهم : محمد فهمى وعلى الشمسى واسماعيل لبيب الذين تواجدوا فى سويسرا ١٩١١ وسعوا فى تشكيل لجنة سرية فرعية للحزب الوطنى من الشباب المصرى هناك ، تحت رعاية فريد فرفض الشباب ذلك قائلين بأنهم «لايريدون أن يكونوا تابعين لأحد ، بل يبغون البقاء مستقلين ليمكنهم المناداة باستقلال مصر استقلالا تاما ، وفى احدى هذه الاجتماعات ورد اسم فؤاد سليم فشددت النكير عليه لعدم زيارته لى فى برلين وتكبره وعجرفته وقلت بشدة وحدة ، ان كان يرى نفسه فأنا أرى نفسى أكبر منه ، وانى لا أخدمه ولا أزد رده فى برن رغما من مركزه الرسمى ما لم يقم نحوى بالاحترام اللائق » [٤٩] .

(٤٨) نفس المصدر ص ٢٤٦ .

(٤٩) المصدر نفسه ك ١١ ص ٣١٣ .

ومما يؤيد قولنا هذا هو تردد الحاضرين فى تلك الجلسة فى قبول حديثه ، واختلفوا معه فى هذا الرأى رغم اخلاصهم له ، أما هو فقد وصل به الأمر الى وصف فؤاد والشيخ جاويش بأنهما (كانوا عصبة برئاسة الشيخ جاويش وفؤاد سليم يسعون ضد شخصى لقتل اسـمى ونفوذى بكل وسيلة) (٥٠) .

وانتهى فريد فى آخر حياته الى استعداء عناصر أخرى على فؤاد لطيف : هو الخديو عباس حلمى الثانى نفسه ، عندما كانت الحـرب مستمرة بينه وبين البرنس حليم عام ١٩١٩ ، فنجده يذكر أنهما ـ أى فؤاد وجاويش ـ يكونان جماعة تسعى لتوصيل حليم الى عرش مصر ، وهـذا ضـد رأيه لأنه كـان فى ذلك الوقت فى مرحلة الدفـاع مـع الخديوى (٥١) :

فؤاد لطيف والخديو عباس حلمى الثانى :

بدأت علاقة فؤاد لطيف بالخديوى عباس حلمى الثانى بنفس درجة علاقة مصطفى كامل به ا نظرا لتزامنهما وتلازمهما ، بالاضافة الى العلاقة التى كانت بين أبيه وبينه ، كرجل بارز فى الساحة السياسية المصرية فى ذلك الوقت ، الا أن رأيه فيه لم يكن الا من خلال رأى أبيه ـ لطيف ـ فيه ، وهذا ما ظهر بعد وفاة أبيه .

فقد بدأت نظراته الحذرة منه ، وعدم ثقته فيه ، بعد وفاة أبيه تأسيسا على رأى أبيه فيه ، وهذا الخط هو الذى حكم العلاقات بينهما فيما بعد ، وكان فى نظره (رجل أنانى يفضل منفعته الشخصية على الصالح العام) (٥٢) .

---

(٥٠) المصدر نفسه ك ١٠ ص ٢٩٢ .
(٥١) المصدر نفسه ك ١١ ص ٣١٣ .
(٥٢) المصدر نفسه ك ١ ص ٢٠ .

وكم كان يحضر مع أبيه اجتماعاته ويسمع ضمن الأحاديث ما كان يقوله الخديوى فى مناوراته مع كل الأطراف « هذه كلها قناطر مررنا عليها فوجدناها غير موصـــلة للطريق » [٥٣] وكان ذلك أثناء اجتماعهم السرى فى عزبة مسطرد عند تأسيس الحزب الوطنى ، ولم يتنازل فؤاد عن فكرته هذه عن الخديو لأنه كان يرى كل فترة دليلا جديدا على ألاعيبه وعدم صدق نواياه ، منها ادخاله الاخلاصى للحزب الوطنى فى روع محمد فريد عندما ضعف موقفه فى آخر أيام حكمه ثم خلعه من العرش واعلانه أنه أصبح ــ آنئذ فقط ــ معضدا للحزب الوطنى [٥٤] ، واصــداره منشورا بعنوان « أبناء مصر والسودان الأعزاء » يعلن فيه منح المصريين الدستور والغاء القوانين المنافية للحرية واعادة الضمانات لاســتقلال القضاء [٥٥] ، فكان فؤاد يرفض الاشتراك معه فى هذه الأمور أولا : لعدم ثقته فيه ثانيا : لأنه لا يريد أن يدخل فى قضية خاسرة مع الدولة العثمانية وقد أصبح أحد موظفيها .

كان عام ١٩١٤ عام النهاية بالنسبة لحكم عباس لمصر ، فمنذ صيف هذا العام بدأت رياح التغيير تهب على العرش ، عندما سافر الى تركيا وأثناء وجوده اندلعت الحرب العالمية الأولى وانتهزت انجلترا الفرصة وحالت دون رجوعه الى مصر ، فجعل يبحث عن سند له فى موقفه فلم يجد سوى محمد فريد ، فبثه شكواه تأسيسا على ادعائه حسن النية من قبل [٥٦] .

وأصبح هو وفريد وبعض أعضاء الحزب الوطنى فى الآستانة فى ناحية يقابلهم سعيد حليم باشا (الصدر الأعظم) فى ناحية أخـــرى ، وكان سعيد حليم يجمع حوله بعض المصريين المخلصين للدولة العثمانية

(٥٣) المصدر نفسه ك ١ ص ٢ .

(٥٤) رسائل تاريخية ص ٦٦ .

(٥٥) مذكرات محمد فريد ك ١ ص ٩٧ .

(٥٦) رسائل تاريخية ص ٦٨ .

فى ذلك الوقت منهم : الشيخ جاويش وفؤاد لطيف ، من أجل أن يكون حزبا بأسم (مصر العثمانية) ، هدفه استعادة وضـــع مصر فى صـــف الولايات العثمانية الأخرى ، ولعل فؤاد لطيف قد وجد فى هذا الوضع منفذا لها (أى مصر) للخروج من تحت جناح انجلترا التى سادتها ، وكانت على وشك اعلان الحماية عليها لأن هذا حدث فى نوفمبر ١٩١٤ .

فى حين أن عباس جعل يلوم محمد فريد على تقاعسه عن محاولة جذب هؤلاء المصريين الى صفه وليس الى صف الصدر الأعظم (٥٧) .

وبهذا كان فؤاد لطيف أبعد نظرا من مجموعة الخديو ، فهو يحاول العبور بمصر أولا من متاهة الأحتلال البريطانى الى شرعية ولاية الدولة العثمانية عليها ، ثم يصبح الأمر بعد ذلك سهلا فى الخروج بها من تبعية الدولـــة العثمانية وهو ما كان يخططه الحـــزب الوطنى والمعتدلون من الأحزاب من قبل ، بينما كان عباس يسعى الى العرش ولو تحت ظلال الاحتلال .

ومصداقا لهذا فان الدولة العثمانية فى سبيل استعادة مصر الى حظيرتها خططت لعمل عسكرى من شأنه اثبات وجودها أمام قوى الاحتلال البريطانى فى مصر ، خاصة وأنها كانت خليفة لألمانيا ، وكان هذا العمل العسكرى فى شكل حملة عثمانية على شمال شرق مصر لزعزعة البريطانيين فى منطقة القناة الاستراتيجية وتهديد طريقها الى الهند ، وأسند الأشراف على هذه الحملة الى جماعة حزب مصر دون الرجوع الى الخديو ، بل أشركوا فؤاد سليم فى قيادتها أيضا وهو سعى منه لهذا ، احساسا منه بالانتماء وحب مصر ، فى الوقت الذى فتح عباس أبواب دعايته ضدهم لما علم بهذه الحملة ، خصوصا وأنه كان ضمن لجنة الاشراف على هذه الحملة الدكتور أحمد فؤاد المشتبه فى اشتراكه مع مظهر أفندى الذى

---

(٥٧) أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن ص ٣٦٦ .

اتهم بالاعتداء على الخديو فى الآستانة من قبل ، ووصفهم بالعمل ضد مصر وضد انجلترا فى آن واحد ، فكان رد فؤاد الحجازى موضوعيا عندما استصدر بيانا من الباب العالى يوضح فيه نية العثمانيين من وراء هذه الحملة جاء فيه « ... اننا لعدم ثقتنا تمام الثقة بعهود رجال الدولة الذين ربما كانت لهم أغراض خفية لا تظهر الا بعد احتلالهم البلاد ، فان أفندينا عزم على ارسال من يعتمد عليه للسفر الى ألمانيا والنمسا وايطاليا للتحقق من تنفيذ وعود سفير ألمانيا لسموه بأن تبقى مصر مستقلة فى ادارتها بدون تدخل الدولة ، كما كانت وليس كالدائر على الألسنة أنه بمجرد دخول الجيش العثمانى تعلن الأحكام العرفية .. » [٥٨] .

ويقصد البيان برجال الدولة الذين لهم أغراض خفية هو الخديو الذى بدأ فى تلك الفترة يفكر فى الارتماء فى أحضان الاحتلال حتى يحتفظ بعرشه ، لدرجة أنه عشية اعلان الحرب الأولى وبسط الحماية البريطانية على مصر ، كان عباس فى حالة عداء شديد للعثمانيين ، وينظر نظرة سوداء الى مستقبل مصر تحت ادارة الترك « وتكلم عن عدم كفاءتهم للحكم » وأبدى تخوفه الشديد من أعمالهم فى مصر ، ليس فقط فى التخريب المادى بل والفكرى أيضا ، وكان دائماً يقول : « ان الأتراك بمجرد دخولهم ينشئون فى طول البلاد وعرضها جمعيات للاتحاد والترقى ، فيقسمون الشعب أقساما غير مفيدة للبلد ، وكذلك يستعمل القائد جمال باشا سلطته ويمتص دم المصريين ، ويجلس أحد المصريين المعادين لنا على بابه كتشريفاتى ليدخل العمد والأعيان فيأتون بالمال والعقار » ، ثم أشار فى صراحة الى أن فؤاد لطيف سيدخل مصر على رأس حزبه الذى تكون فى تركيا ليكون هو الادارة التى أشار اليها بالتشريفاتى [٥٩] الذى سيجلس على الباب ، فبهذا بدأ عباس بالاهانة والعدوان لرجل قريب من قلب الباب العالى وكان يمكن أن يستغله .

---

(٥٨) أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن ص ٣٩٨ .
(٥٩) أحمد شفيق : المرجع نفسه ٤١٣ .

ولكن فؤاد لطيف لم يفقد صوابه ، ولم يتصرف بذات الأسلوب ، ولذلك سنجد الخديو سيعود اليه بعد افاقته فيجد فيه رحابه الصدر والوفاء له وللمصريين .

ففى ديسمبر ١٩١٤ خلع عباس وفى أعقاب ذلك أرسلت الدولة العثمانية الحملة ، وكان ضمن قيادتها فؤاد بك سليم ، وكان برتبة أميرالاى أحد أركان حربها ، ولكنها فشلت ولم تحقق أهدافها ، ولكن لتمسك الدولة به أصدر الصدر الأعظم قرارا بتعيينه سفيرا للدولة العثمانية فى سويسرا ، كما أسلفنا (٦٠) .

ويهمنا هنا أسلوب تعامله مع الخديو والمصريين يبين منه كيف كان يحافظ على سمعة مصر والمصريين ، وأنه كان يعمل كمصرى قبل كل شيء وليس تحرك مصرى ظاهرى كما كان يعمل الخديو من أجل منفعته الذاتية .

فقد صدر قرار من الدولة العلية فى ٢٤ يناير سنة ١٩١٦ بعودة جميع المصريين المقيمين فى أوربا الى الآستانة والا توقفت الدولة عن دفع مرتباتهم ، وكان الغرض من هذا القرار هو فك التكتل الذى حاول عباس عمله حوله ضد الدولة العلية ، وفعلا بدأت السفارات التركية فى أوربا فى تنفيذ القرار بكثير من العنت والقسوة خاصة مع من ثبتت علاقتهم بالخديو عباس ، فتدخل أحمد شفيق لدى فؤاد لطيف فى برن واستجاب فؤاد لرجائه ورجاء الخديو الذى كان يحمله له شفيق — رغم سوء العلاقات — وسهل أمر ترحيلهم وعدم الغرض لهم ، ولم يقم لسوء العلاقات وزنا عندما أحس أن المغرضين لسوء المعاملة مصريين من بنى جلدته (٦١) .

---

(٦٠) عبد العزيز حافظ دنيا : رسائل تاريخية ص ٦٦ .

(٦١) أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن ص ٣ ص ٩٠ .

اسدائه النصح للخديوى فى مسألة تنازله عن العرش :

حاول الخديو كثيرا فى سبيل عودته للعرش ولكنه فشل ، وكانت انجلترا تجهز على موقفه سيما وأنها كانت فى ظروف سياسية حرجة ، فبدأت تقدم اليه عروضا مالية وتسهيلات مقابل تركه العرش ، واكملت الحلقة من حوله بتوسط سفراء بعض الدول المتعاونة معها فتحرج موقف الخديو ، وهنا أشار عليه أحمد شفيق باللجوء الى فؤاد لطيف لأنه ثبت اخلاصه أكثر منهم جميعا ، ولذلك تلقف الخديو عباس الخيط وأرسل شفيقا فورا اليه طالبا مقابلته فى برن ، ولحق به عندما سمح له بذلك ، فوجد أن فؤادا قد عقد لقاءات واجتماعات مع السفراء فى برن ، أولئك الذين يتعاطفون مع القضية المصرية ، وأثارهم ضد موقف الانجليز ، انتهوا فيها الى نصح الخديوى بعدم الامتثال للانجليز حيث صرح « ان السفير يقول لى تلميحا أن أترك المســـاعى التى أبذلها لدى الانجليز لضمانة أملاكى ، والحصول على مرتبات سنوية « ولعله — أى فؤاد — هو وسفير ألمانيا وسفير النمسا عالمون بهذه المســـاعى ، ويخافون أن تتوج بالنجاح وأن أتنازل للانجليز عن الأريكة فيقوى مركزهم ويضعف مركز الدولة العلية ولهذا يعدوننى بالتعويضات والمخصصات » (٦٢) .

وعندما أسدى فؤاد له النصح كان صريحا وواضحا ، فيروى أحمد شفيق هذه النصيحة بنصها عندما ينقل قول فؤاد سليم : « ان الانجليز يودون أن يرغموه على النزول عن العــرش ويمنونه فى مقـــابل ذلك بألا يمسوا أملاكه وأن يرتبوا له مخصصات سنوية ، ولكن هذا شىء طفيف بالنسبة لعرش مصر ، ثم أن ســـموه لا يليق به أن يمد يده الى أعدائه ويتناول منهم مرتبا .. » « أن ما يطلبه السفير (يقصد السفير الانجلزى) هو سلاحك والانجليز الذين يخشونك به يريدون نزعه منك ، فلو تنازلت عنه أغفلوا شأنك » (٦٣) .

---

(٦٢) أحمد شفيق : المرجع السابق ص ١٠١ .
(٦٣) أحمد شفيق : المرجع نفسه ص ١٠٣ .

وكان فؤاد فى كل هذا مخلصا فى القول متأكدا من التصرف حيث أعلن موقفه فى قوله « وأنا أيضا مبدئى أن أرى الدولة العلية قوية وأن تكون مصر مستقلة فى داخليتها » (٦٤) ومن هنا تغيرت العلاقات بينهما الى الأحسن •

ولكم كان عظيما فى موقفه تجاه الخديو الذى كان يعتبره جاسوسا عليه ونصب لمضايقته فى أوربا هو ومحمد فريد ، لدرجة أنهما أحسا بعقدة الذنب قبالته بعد ذلك •

فقد أسس الخديوى فى عام ١٩١٦ جمعية لمواساة المسلمين المحاربين فى جيوش الأعداء ، واعترف محمد فريد أنه لم يكن خالص النية فى تأسيسها ، وانما كان مقصده هن تمكين بعض عملائه من التحرك فرنسا وانجلترا لمفاوضة الأطراف فى قضية للوصول الى حل يرضيه ، وتنبهت السلطات لهذا ، فوضعت الجمعية تحت المراقبة الدقيقة حيث ظهر « أن القصد منها بعض المقاصد السياسية أو الوطنية أو بعض الدول المتحاربة » •

وحدث أن قامت الشرطة فى لوزان بضبط مقرها ومصادرة ما كان فيه من أوراق ، والقبض على محمد باشا يكن الذى كان مسئولا عن هذا الفرع وذلك فى ٢٣ أكتوبر عام ١٩١٦ (٦٥) •

وازاء هذا ساد الفزع جميع المصريين والأتراك هناك ، بعد أن توالت البلاغات ضدهم من بعض المسلمين المعارضين ، حتى تحددت اقامة الكثير منهم (٦٦) ، وكان يمكن لفؤاد لطيف أن يتشفى فيهم ، أو على الأقل يأخذ موقفا سلبيا منهم ، بل كان على العكس ويشهد بذلك محمد فريد وأحمد شفيق حتى الخديوى عباس نفسه ، فعندما علم فؤاد بما حدث احتج

---

(٦٤) أحمد شفيق : المرجع نفسه ص ١٠٣ •

(٦٥) مذكرات محمد فريد ك ٨ ص ٢١٦ •

(٦٦) أحمد شفيق : المرجع السابق ج ٣ ص ١٢٣ •

رسميا على الحكومة ضد ما اتخذته من اجراءات لأنها اعتبرت اجراءات ضد شخص الخديو ، وقد اندهش محمد فريد من هذا التصرف وقال : « ولكنى لم أصدق هذا الخبر لأن مأمورية فؤاد سليم مضايقة الخديو لا مساعدته على الخلاص من مثل هذه الورطة ، وأنه يريد بهذا الخبر التعمية » (٦٧) ، وفى عبارته الأخيرة يقف موقف المتشكك من فؤاد الا أنه يعود فيعرض نتائج جهود سليم « بلغنا أن يكن باشا أخرج كذلك من السجن ، وأن الحكومة السـويسرية اعترفت بأن شخص الخديو ورجاله وسـكنه محترمين طبقا للقانون الدولى العام وذلك بناء عـلى واحتجاج سفير الدولة العلية فؤاد سليم (٦٨) .

ويروى أحمد شفيق تفاصيل الموقف واجراءات القبض على محمد باشا يكن يوم ٢٣ أكتوبر ١٩١٦ وضبط ما وجد لديه من أوراق تدل على أن يكن باشا استخدم وسائل شتى للحصول على معلومات لصالح مصر والخديو ، وأن هـذه الأعمال والاجراءات تعدت الحدود السـويسرية وخالفت القانون المطبق هناك . كما ثبت أنه أوفـد الى فرنسـا بعض السويسريين للحصول على أخبار منها وتوصيلها الى الألمان وقد تم ضبط اثنين منهم .

وقد تفرغ التحقيق الى أمور مسـت أخلاقيات الخديو اذ تبين أنه كان على علاقة غير شريفة بامرأة ساقطة فى سويسرا ، وكان يغدق عليها الهدايا ، ويذكر أحمد شفيق أنه برغم ما نال الخديو فى سمعته وتصرفاته، وكان على فؤاد لطيف صاحب المركز الحساس كسفير لم يتخل عنه أو عن أتباعه ، فكان على اتصال مستمر بسلطات التحقيق ، ليس من أجل أن يوافى ادارته بتقارير ، وانما من أجل التوسط تارة والاحتجاج تارة أخرى بل وكان يتابع المحامين فى القضية ويسهل لهم الحصـول على

---

(٦٧) المرجع نفسه والصفحة .

(٦٨) المرجع نفسه والصفحة .

الأوراق اللازمة للدفاع عن المتهمين ، ووصل به الأمر الى أن استصدر أمرا من السلطات بالافراج عن معظم الأوراق التى تم ضبطها .

وللعجب أنه بعد أن قام بهذا الجهد ذهب الظن السىء المسيطر على الخديو عباس أن فؤادا سيضع الأوراق تحت يده ليهدده بها فى الوقت الذى كانت فى طريقها اليه ، فوجه الحاضرون ومنهم أحمد شفيق اليه لوما شديدا (٦٩) .

وهـذا موقف آخر يدل على خلق الرجل واخلاصه لمصر ، ففى ديسمبر عام ١٩١٦ عاد الخديو ليسعى لدى الانجليز للأخذ بيده فى مسألة مطالبته بالعرش وتسوية موقفه المالى فى مصر ، وأنه فى ذلك وسط معتمد البلجيك فى فيينا ، فالقموه حلا وهميا هو أن يخصص له مبلغ ٢٥ ألف جنيه سنويا ، ويرفع الحجز على أملاكه فى مصر ، وضمان أملاكه فى تركيا مقابل تنازله نهائيا عن العرش (٧٠) .

ويبدو من العرض بعد ذلك أن الخديو قارب الموافقة ولكنه عاد الى فكر سليم هداه الى الرجوع الى فؤاد لطيف ، ولعل فى هذا تقييم لنوع العلاقات بينهما ، ومدى ثقته فيه وأن هذه الثقة تولدت من واقع عاشه معه وليس من فراغ واستوضح منه أيضا رأى الدولة العلية ، وهل تضمن له ذلك ؟! .

فأحسن له النصح ووجهه كيف يتعامل مع الانجليز ، ولام على بقية الموجودين فى أوربا من اعضاء الحزب الوطنى تصرفاتهم غير الوطنية والتى تسبب فى توسيع الخلاف بين مصر وتركيا .

---

(٦٩) أحمد شفيق : المرجع السابق صص ١٢٥ — ١٣١ .

(٧٠) أحمد شفيق : المرجع السابق صص ١٣٨ — ١٤٠ .

خـــاتمة

نشأ فؤاد لطيف فى بيئة وطنية فخدم مصر بنية صادقة رغم كل الضغوط الخارجية والداخلية المتمثلة فى انجلترا واستصدارها حكما عليه بالاعدام والمصادرة لأملاكه ، ثم ضغط فريد والخديو الا أن مقومات شـــخصيته وتكوينه كانتا ســـببا فى تخطيه كل هذه العقبات : كعلمه وكسياسته فى التعامل مع المسئولين فى الدولة العلية والدول الأجنبية .

أثبت قوميته وحبه لمصر بعيدا عن الأضواء ، فحافظ على ســـمعة مصر من خلال محافظته على سمعته هو ، التى جعلته محل تقدير لدى الدولة والدول الأجنبية التى تعامل معها ، واستغل هذا فى حفاظه على سمعة المصريين فى الخارج عندما قدم لهم خدمات فى أحرج الظروف رغم حساسية مركزه كســـفير ، ولم يجعل لمقولات فريد أو الخـــديو ضده وزنا ، بل أثبت لهم أنه أكبر من هذه المقولات ، حتى عادوا واعترفوا به سندا لهم فى غربتهم ومشكلاتهم .

مما جعله محل تقدير حتى لدى عودته الى مصر ليعين فى السلك الدبلوماسى المصرى ، فهو بحق صفحة مجهولة فى تاريخ الحركة القومية فى مصر .

مصـــادر الدراســـة

(أ) مذكرات :

مذكرات محمد فريد

أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن — القاهرة ١٩٢٤ .

(ب) مراجع باللغة العربية :

أحمد رشاد : مصطفى كامل — القاهرة ١٩

جولد شميث الابن : الحزب الوطنى المصرى ، ترجمة فؤاد دوارة القاهرة ١٩٨٢ .

شـــوقى الجمل (دكتور) : أوراق مصطفى كامل ، المراســـلات
القاهرة ١٩٨٢ •

عبد المنعم الجميعى (دكتور) : الخديو عباس حلمى الثانى والحزب
الوطنى — القاهرة ١٩٨٢ •

عبد العزيز حافظ دنيا : رسائل تاريخية — القاهرة ١٩٦٩ •

عبد الرحمن الرافعى : مصطفى كامل باعث الوطنية — القاهرة ١٩٦٢
محمد فريد رمز الوطنية — القاهرة ١٩٤٨ •

عصر اسماعيل جـ ٢ — القاهرة ١٩٤٨ •

عصر محمد على — القاهرة ١٩٥١ •

محمد أنيس (دكتور) : صفحات مجهولة من التاريخ المصرى —
القاهرة ١٩٧٣ •

يونان لبيب رزق (دكتور) : تاريخ الوزارات المصرية — القاهرة
١٩٧٥ •

(جـ) مراجع باللغة الانجليزية :

Holt, P.M. : Political and s ocial change in Modern Egypt, London, 1968.

(د) الدوريـــات :

المؤيـــد

اللـــواء